

تفسير السعدي

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
إِذَا لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ أَيُّ شَكَا، وَرِيبًا مَا كَثُرَ فِي قُلُوبِهِمْ، إِلَّا لَا أَنْ
تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ بِأَنْ يَنْدَمُوا غَايَةَ النَّدَمِ وَيَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَخَافُوهُ غَايَةَ الْخَوْفِ، فَبِذَلِكَ يَعْفُو
اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِلَّا فَبُنْيَانِهِمْ لَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا رِيبًا إِلَى رَبِّهِمْ، وَنِفَاقًا إِلَى نِفَاقِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، ظَاهِرَهَا، وَبَاطِنَهَا، خَفِيهَا وَجَلِيهَا، وَبِمَا أَسْرَهُ الْعِبَادَ، وَأَعْلَنُوهُنَّ الْحَكِيمُ إِلَّا لَا
يَفْعَلُ وَلَا يَخْلُقُ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى إِلَّا مَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ وَأَمْرٌ بِهِ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَوْ فِي هَذِهِ
الآيَاتِ فَوَائِدٌ عَدَّةٌ مِنْهَا: أَنْ اتَّخَذَ الْمَسْجِدَ الَّذِي يَقْصِدُ بِهِ الضَّرَارَ لِمَسْجِدٍ آخَرَ بِقَرْبِهِ، أَنَّهُ
مَحْرَمٌ، وَأَنَّهُ يَجِبُ هَدْمُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ، الَّذِي اطَّلَعَ عَلَى مَقْصُودِ أَصْحَابِهِمْ مِنْهَا: أَنْ الْعَمَلُ
وَإِنْ كَانَ فَاضِلًا تَغْيِيرُهُ النِّيَّةَ، فَيَنْقَلِبُ مِنْهَا عَنْهُ، كَمَا قَلْبَتْ نِيَّةُ أَصْحَابِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ
عَمَلُهُمْ إِلَى مَا تَرْتَلَبُوا مِنْهَا: أَنْ كُلِّ حَالَةٍ يَحْصُلُ بِهَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَعَاصِي
الَّتِي يَتَعَيَّنُ تَرْكُهَا وَإِزَالَتُهَا: كَمَا أَنَّ كُلِّ حَالَةٍ يَحْصُلُ بِهَا جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ وَائْتِلَافُهُمْ، يَتَعَيَّنُ
اتِّبَاعُهَا وَالْأَمْرُ بِهَا وَالْحَثُّ عَلَيْهَا، لِأَنَّ اللَّهَ عَلَّلَ اتِّخَاذَهُمْ لِمَسْجِدِ الضَّرَارِ بِهَذَا الْمَقْصِدِ الْمَوْجِبِ

للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله وأئمة الهدى عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها. وأومنها: أن المعصية تؤثر في البقاء، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد آباءنا حتى قال الله فيها: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} [أول هذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان صلى الله عليه وسلم يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيها. وأومنها: أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي: لكل عمل فيه مضارة لمسلم، أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفریق بين المؤمنين، أو فيه معاونة لمن عادى الله ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه. وأومنها: أن الأعمال الحسنة الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرة. وأومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجداً أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فمسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى. وأومنها: أن العمل المبني على

الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات
النعيم. والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على
شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.